كتاب النســاء

فى أخلاقهن وخَلْقِهِنّ وما يُختَارُ مِنْهُن وما يُكرَه

□ أيَّهن تختار ؟! :

عن مُجاهد عن يَحيى بن جَعْدة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **تُنْكَحُ المرأة لدينها وَحَسَبِها وحُسْنها فعليك بذاتِ الدين تَرِبتْ يداك** »(١). ثم قال : « **ما أفادَ رجلٌ بعد الإسلام خيراً من امرأة ذاتِ دينٍ تَسُرّه إذا نظر إليها ، وتُطيعُه إذا أمرها ، وتحفظه فى نفسها ومالِه إذا غاب عنها** »(٢).

□ سِنّ الزواج :

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : « لا تُدْخَلُ المرأة على زوجها فى أقلَّ مِنْ عَشْرِ سنين » .

قالت عائشة : « وأدْخِلْت على رسول الله ﷺ وأنا بِنْتُ تسْعِ سنين »(٣).

□ النســاء ثلاث :

الأصمعيّ قال : أخبرنا شيخ من بنى العنبر(٤) قال : كان يقال : النساء ثلاث : فَهَيِّنَةٌ لَيِّنَةٌ عفيفة مُسْلِمة ، تُعين أهْلَها على العَيْش ، ولا تُعينُ العَيْش على أهلها .

---

(١) الحديث كما ذكره السيوطى فى الجامع الصغير : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

وقوله : تربت يداك تجرى على الألسنة ، وليس المقصود بها الدعاء بالفقر ولصوق يده بالتراب ، ومثلها مثل قولنا للبطل الشجاع : قاتله الله ما أشجعه !

(٢) الحديث كما ذكره الإمام السيوطى فى الجامع الصغير : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله – عز وجل – خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » .

(٣) أخرجه الخمسة إلا الترمذى من حديث طويل .

(٤) جاء فى العقد الفريد : عن أبى عمرو بن العلاء ، وجاء فى نزهة الأبصار والأسماع : عن الأصمعى عن ابن عمر قال عمر – رضى الله عنه –: « النساء ثلاث » .

وأُخرى وِعَاءٌ للولد . وأخرى « غُلٌّ قَمِل[٥] » يَضعُهُ الله فى عُنق من يشاء ، ويَفُكُّه عمّن يشاء .

□ والرجال ثلاثة :

فهَيِّنٌ لَيِّنٌ عفيفٌ مُسْلِم ، يُصْدِرُ الأمور مَصَادِرَها ، ويوردُها مَوَارِدَها[٦].

وآخرُ ينتهى إلى رأى ذى اللُّب والمقدرة فيأخذ بأمره ، وينتهى إلى قوله . وآخَرُ حائرٌ بائر[٧]، لا يَأْتَمِرُ لرُشْد ، ولا يُطيع مُرْشدًا .

□ خَيْرُ النســاء :

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال : « خَيْرُ نِسائِكُمُ العفيفةُ فى فَرْجِها ، الغَلِمةُ لزوجها »[٨].

□ من الزواج ما رَفَع ، و منه ما وَضَع ! :

وعن عُرْوة بن الزُّبيْر قال : ما رَفع أحدٌ نفسَه بعد الإيمان بالله بمثل مَنْكَحِ صِدق[٩]، ولا وَضَع نفسَه بعد الكفر بالله بمثل مَنْكَح سُوءٍ . ثم قال : لعن اللهُ فُلانة ، أَلْفت[١٠] بنى فلان بيضًا طِوالًا ، فقَلَبَتْهم سُودًا قِصَارًا .

قال بعضُ شعراء بنى أسد :

وأول حُبْثِ الماء حُبْثُ تُرابِه وأوّلُ حُبْثِ القَوْمِ حُبْثُ المناكِح

□ فرق بين القصيرة والمذكّرة :

قال الأصمعى : قال ابن زبير :

لا يمنعنّكم من تَزَوُّجِ امرأةٍ قصيرةٍ قِصَرُها ، فإن الطويلةَ تَلِدُ القصير ،

---

(٥) « غُلّ قَمِل » جاء فى مجمع الأمثال للميدانى أن هذا مثل يضرب للمرأة السيئة الخلق . وأصله : أن العرب إذا أسروا أسيراً غلّوه بغُلّ من قدّ وعليه شعر ، فربما قمل فى عنقه إذا يبس ، فتجمع عليه محنتان : الغُلّ والقمل . وفى الكناية والتعريض للثعالبى إصدار ابن سينا وتحقيقنا : العرب تكنى عن المرأة بالغُلّ . وجاء فى « طبائع النساء » للمحقق نقلاً عن العقد الفريد : « يلقيه » .

(٦) يحسن التصرف . وقد قيل لمن لا يحسن التصرف : ما هكذا تورد يا سعد الإبل ؟!

(٧) الحائر البائر : الضالّ التائه الذى لا يأتى بخير أينما توجهه .

(٨) الغَلِمةُ : الشديدةُ الغُلْمة والاشتهاء للزوج .

(٩) مَنْكَح صدق ، ومَنْكَح سوء : موضع النكاح . والمراد المرأة .

(١٠) أَلْفَتْ : وجدت .

والقصيرة تَلِدُ الطويل ! وإياكم والمذَكَّرة[١١] فإنها لا تُنْجِب .

□ من تجارب السابقين فى الزواج :

● أبو عمرو بن العَلاء قال : قال رجل : لا أتزوّجُ امرأة حتى أنظرَ إلى ولدى منها . قيل له : كيف ذاك ؟ قال :
أنظرُ إلى أبيها وأمها ؛ فإنها تَجُرّ بأحدهما .

● عن أبى مُلَيْكة أن عُمَرَ قال : يابنى السائب ، إنكم قد أضويتم[١٢] فانكحوا فى النزائع !

● الأصمعىّ قال : قال رجل : بنات العَمّ أصْبَر ، والغرائب أنجب ، وما ضربَ رءوسَ الأبطال كابن أعجمية .

● عن أوفى بن دَلْهَم أنه كان يقول : النساء أربع :
فمنهن **مَعْمَعٌ**[١٣] لها شيئُها أجمع .
ومنهن **تَبَعٌ** تَضُرّ ولا تنفع .
ومنهن **صَدَعٌ** تُفَرّقُ ولا تَجْمَع .
ومنهن **غَيْثٌ هَمِع**[١٤]، إذا وقع ببلد أمرع .
قال الأصمعىّ : فذكرتُ بعض هذا الحديث لأبى عَوَانة فقال :
كان عبد الله بن عُمَير يزيد فيه : ومنهن **القَرْثع**[١٥]، وهى التى تلبس درعها مقلوبًا ، وتَكْحُلُ إحدى عينيها وتدع الأخرى .

□ ثلاث من الفواقر :

عن علىّ بن زيد قال : قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – ثلاث من الفواقر[١٦]:

---

(١١) المذكرة : المتشبهة بالرجال .
(١٢) يقال : أضوى الرجل ، أى ولد له ولد ضعيف ، والنزائع : جمع نزيعة ، وهى المرأة التى تزوّج فى غير عشيرتها .
(١٣) مَعْمَع : تمنع مالها عن زوجها ، ولا تمكنه بشىء منه عندما يكون فى حاجة إليه .
(١٤) غيث هَمِع : سحاب ماطر . وأمرع المكان : أخصب بكثرة الكلأ .
(١٥) القرثع : هنا من يفسر هذه الكلمة بأنها البذيئة الفاحشة سليطة اللسان ، قليلة الحياء فى جرأة ووقاحة .
(١٦) الفواقر : الدواهى . والمفرد فاقرة .

● جَارُ مُقَامَةٍ[١٧]، إن رأى حسنةً ستَرها ، وإن رأى سيئةً أذاعها .
● وامرأة إن دَخَلْتَ لَسَنَتْك[١٨]، وإن غِبتَ عنها لم تأمنها !
● وسُلطان إن أحسَنتَ لم يَحْمَدْك ، وإن أسأت قتلك .

□ أَحَبّ نساء بيته إليه :

الأصمعىّ قال : حدثنا جُمَيْعُ بنُ أبى غاصِرة – وكان شيخًا مُسِنًّا من أهل البادية من ولد الزِّبرقان بن بدر من قِبَل النساء – قال : كان الزِّبرقان يقول : أَحَبُّ كنائنى[١٩] إلىّ :

الذليلةُ فى نَفْسِها ، العزيزةُ فى رَهْطِها !

البَرْزَة[٢٠] الحَيِيَّة التى فى بطنها غلام ، ويَتْبَعُها غلام .

وأَبْغَضُ كنائنى إلىّ الطُّلَعَةُ الخُبَأَة[٢١]، التى تمشى الدِّفِقَّى ، وتجلس الهَبَنْقَعَة[٢٢]. الذليلة فى رهطها ، العزيزة فى نفسها ، التى فى بطنها جارية وتتبعها جارية !

□ إلى من أراد أن يتزوج :

بلغنى عن خالد بن صفوان أنه قال :

من تزوج امرأة فليتزوجها عزيزة فى قومها ، ذليلة فى نفسها ، أدّبها الغِنَى ، وأذَلّها الفَقْر ، حَصَانًا من جارها ، ماجنة على زوجها[٢٣]!.

□ هؤلاء هُنّ النساء :

وقال الفرزدق يصف نساء :

---

(١٧) مُقَامة : إقامة .

(١٨) لَسَنَتْك : عابتك بلسانها وذكرتك بالسوء .

(١٩) الكنائن : جمع كَنَة وهى : امرأة الابن أو الأخ . والكنائن – أيضاً – جمع كنينة بمعنى مكنونة وهى امرأة الرجل وهذا هو المراد .

(٢٠) البَرْزة : التى برزت محاسنها . وفيها عفة ، ولها رأى .

(٢١) الطُّلَعَة الخُبأة : التى تطلع مرة وتختبىء أخرى . ويقال أيضاً :طُلَعة قُبعة : تُظْهِر رأسها مرة وتستره أخرى .

(٢٢) الدِّفِقَّى : فى سرعة واندفاع ، والهبنقعة : التى تتربع وتمد إحدى رجليها فى تربعها .

(٢٣) حصاناً من جارها : عفيفة . ماجنة على زوجها : ليس بينها وبينه حواجز تمازحه وتخالطه ولا تستحى منه ؛ فهو زوجها ترفع الكلفة بينها وبينه . والمجون : قلة الحياء .

يَأْنَسْنَ عند بُعُولهنّ إذا خَلَوْا وإذا هُمُوا خَرَجُوا فهُنّ خِفَارُ[٢٤]

● قال خالد بن صفوان لدَلّال[٢٥]:

اطلُب لى بكرًا كثيّب ، أو ثيبًا كبكر ، لا ضَرَعًا صغيرة ، ولا عجوزًا كبيرة . قد عاشت فى نِعْمَة ، وأدْرَكَتْها حاجةٌ ؛ فَخُلُق النعمة معها ، وذُلّ الحاجة فيها .

حسبى من جمالها أن تكونَ ضَخْمَةً مِنْ بَعيد ، مَليحةً من قريب ، وحَسْبى من حَسَبِها أن تكون واسطةً فى قومها .

تَرْضَى مِنّى بالسُّنّة ، إن عشتُ أكْرَمْتُها ، وإن مِتُّ ورّثْتُها .

● وقال رجل لصاحب له :

أبْغِنى[٢٦] امرأة بيضاءَ البياض ، سوداءَ السَّواد ، طويلةَ الطُّول ، قصيرةَ القِصَر !

يُريد : كل شىء منها أبيض فهو شديد البياض ، وكل شىء منها أسود فهو شديد السّواد ، وكذلك الطول والقصر .

● وقال آخر : أبْغِنى امرأةً لا تُؤَهّل دارًا !!

(أى : لا تجعل دارها آهلةً بدخول الناس عليها !) .

ولا تُؤْنسُ جارًا !!

(أى : لا تُؤْنِسُ الجيرانَ بدخولها عليهم !) .

ولا تَنْفُثُ نارًا[٢٧]!!

(أى لا تَنِمّ وتُغْرِى بين الناس !) .

● قال الأصمعى[٢٨]: قال أعرابىّ لابن عَمّه :

---

(٢٤) الفرزدق : أحد فحول الشعراء الأمويين ، نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويعالجه حتى نبغ فيه وقد مات سنة ١١٠ هـ والخِفَار : الحيِّات من الخَفَر وهو الحياء .

(٢٥) دَلاّل : هو دَلّال المخنث وكان يخطب النساء على الرجال وله ترجمة فى الأغانى (ج ٤ ص ٥٩ طبعة بولاق) .

والضَرَع : الضعف والنحافة . وخالد بن صفوان من فصحاء العرب المشهورين ولم يتزوج !.

(٢٦) أبغاه الشىءَ : أعانه على طلبه . وقالوا : أبْغِنى ضالّتِى : أعِنّى على طلبها .

(٢٧) كامرأة أبى لهب حمالة الحَطَب التى لا تفتأ تنفث سموم الإيقاع والعداوة ولا تهدأ حتى تقوم المعارك .

(٢٨) من مشاهير لُغَوِيّى العرب (أبو سعيد عبد الملك) تعلم فى البصرة على الخليل وأبى عمرو =

أطلبْ لى آمرأة بيضاء ، مديدة فَرعَاء جَعْدة[٢٩]. تقوم فلا يُصيبُ قميصُها منها إلا مُشَاشةَ مَنْكِبَيْها ، وحَلَمَتَىْ ثدْيَيْها ، ورانفتى أليَتَيْها ، ورُضافَ رُكْبَتَيْها[٣٠].

إذا اسْتَلْقَتْ فَرَمَيْتَ تَحتَها بالأُتْرُجّة[٣١] العظيمة نفذت من الجانب الآخر !

فقال له ابن عمه : وأنَّى بمثل هذه إلا فى الجنان !

ونحو قوله فى الأُتْرُجة قولُ أم زرع :

« خرج والأوطابُ تُمْخَضُ ، فلقى امرأةً معها ولدان لها كالفهدين يلعبان تحت خَصْرِها بُرمّانتين ، فطلقنى ونكحها »[٣٢].

● وقال آخر : أبْغِنِى امرأةً شَقَّاءَ مَقَّاءَ ، طويلة الأنْقاء ، منهوسَة الفخذين ؛ ناحِلَةَ الصُّقْلَيْن[٣٣].

● أنشد ابن الأعرابى :

إذا كُنتَ تبغى أيِّمًا بجهالـة ... من الناس فانظر من أبوها وخالُها[٣٤]؟!

= ابن العلاء وأخذ عن خلف الأحمر وعهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين . له كتاب الأصمعيات .

(٢٩) مديدة ، فرعاء ، جعدة : طويلة ، حسنة الهيئة ، مستديرة الوجه قليل لحم وجهها .

(٣٠) المشاشة : أطراف العظام ، ورانفتا الأليتين : مشى رانفة وهى أسفل الألية الذى يلى الأرض عند القعود . والرضاف أو الرُّضف واحده رَضْفَة : العظم المنطبق على الركبة . وفى مثل هذا المعنى يقول الشاعر :

أبت الروادفُ والثَّدِى يقْمِصُها ... مَسَّ البطون وأن تمسَّ ظهورا

(٣١) الأترجة : ثمرة شجرة ناعمة الورق والخطب تشبه الليمون الحلو الكبار ، وهو ذهبى اللون ذكى الرائحة ، حامض الماء .

(٣٢) حديث أم زرع أخرجه مسلم (١٣٩/٧ - ١٤٠) باب فضائل أصحاب النبى وذكره المنذرى فى مختصر مسلم (برقم ١٦٦٩) . والأوطاب هى زقاق اللبن واحدها وطب (لُمخض) أى يؤخذ زبدها . وقولها : يلعبان برمانتين : يعنى أن لها ثديين حسنين صغيرين كالرمانتين . وقد كان أبو زرع كريماً فى معاملة زوجته ولهذا قال الرسول ﷺ لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » .

(٣٣) شَقّاء : الأشق : البعيد ما بين الفروج والطويل والشقاء للمؤنث كما فى القاموس ، أو كأنها شقة جبل مَقّاء : طويلة . ويقال : فخذ مَقّاء : عارية من اللحم . أما طويلة الأنقاء : الأنقاء عظم العضد أو كل عظم ذى مخ والمفرد : نَقْوٌ ونقًا . منهوسة الفخذين : قليل لحمهما . ناحلة الصُّقلين : مشى صُقل : الجنب والخاصرة .

(٣٤) الأيم : العَزَب رجلاً كان أو امرأة تزوج من قبل أو لم يتزوج . والمراد هنا : إذا كنت تبغى اختيار زوجة .

فإنهما منها كما هى منهما كقَدِّك نعلاً إن أُرِيدَ مثالُها[٣٥]
فإن الذى ترجوُ من المالِ عندها سيأتى عليه شَوْمُها وخبالُها

□ أتريدها بكراً أم ثيبًا ؟! :

كان يقال : البِكْر كالذَّرَةِ تطحنُها وتعجنُها وتخبزها .
والثيب : عُجَالة راكبٍ[٣٦]؛ تَمْرٌ وسَوِيق .

□ ماذا يحدث لو وجدتها لَثْغاء ؟! :

وقال ابن الأعرابى طلّق زيادٌ امرأته حين وجدها لثغاء ، وقال : أخاف أن يجىءَ ولدى أَلْثَغَ ، وقال :

لَثْغاءُ تـأتى بِحَيْـفَسٍ أَلْثَـغِ تَمِيسُ فى المَوْشِىِّ والمصَبَّـغِ[٣٧]

□ هكذا كانوا يَرَون المرأة ! :

ويقال : المرأة غُلٌّ[٣٨]؛ فانظر ماذا تضعُ فى عُنُقِك ؛ وهو من قول ابن المقفع : « **الدَّيْنُ رِقٌّ ؛ فانظر عند مَن تضَع نفسَك !** » .

□ كراهية المرأة التى أكثرت الأزواج ! :

أنشد ابن الأعرابى :

أُحِبّ الخَلاوِىّ النزيةَ من الهوى وأكرَهُ أن أُسْقَى على عَطَشٍ فضلاً[٣٩]

يقول : أكره المرأة التى أكثرت الأزواجَ وإن كنت مضطرًّا إليها !!

---

(٣٥) يقال : حذا النَّعْل : قدرها وقَدّها على مثال ولذا يقال : حذا النعل بالنعل ، والمراد أن البنت صورة من أمها وأبيها فى أخلاقها وتكوينها .

(٣٦) عجالة الراكب : طعام المسافر الذى لا يحتاج إلى إعداد ويغنى فيه أى شىء . والسويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير . سمى بذلك لانسياقه فى الحلق . وفى الأمثال : « التمر عُجالة الراكب » .

(٣٧) الألثغ : من يقلب السين ثاء ، والراء غينا . والحَيْفَس : الولد القصير السمين ، أو هو الدّميم . وتميس : تختال . والمَوْشِىّ من الثياب المطرز .

(٣٨) الغُلّ : طوقٌ من حديد ، أو جلد يجعل فى عنق الأسير أو المجرم ، أو فى أيديهما . وقد جاء ذكر الجمع (الأغلال) فى القرآن الكريم فى وصف أهل النار . وقد ذكره الغزالى فى الإحياء بلفظ قال عليه السلام : « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » رواه أبو عمر التوقانى موقوفاً على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر ، وروى ذلك مرفوعاً ، والموقوف أصح كما قال العراقى .

(٣٩) الخلاوِىّ : المكان لا شىء به . والمراد : أنها لم تشغل بزوج من قبل ، فهو لا يحب فضل غيره ، وما بقى منه حتى ولو كان عطشان !

□ لماذا خرج ولم يعد ؟! :

وعن خالدٍ الحَذّاء قال :

خطبتُ امرأةً من بنى أسد ، فَجِئْتُ لِأَنظُر إليها ، وبينى وبينها رِوَاقٌ يشِفّ[٤٠]، فدعت بجَفْنَة مملوءةٍ ثريدًا مكَلَّلةٍ باللحم فأتت على آخرها ، وأتت بإناء مملوءٍ لبنًا ، أو نبيذًا فشربته حتى كفأته على وجهها ، ثم قال :

يا جاريةُ ، ارفعى السِّجْفَ[٤١] فإذا هى جالسة على جِلد أسد ، وإذا شابّةٌ جميلة ، فقالت :

يا عبدَ الله ؛ أنا أسَدَةٌ من بنى أسد على جِلْد أسد ، وهذا مَطْعَمى ومَشْربى ، فإن أحببتَ أن تَتَقَدّم فافعل .

فقلت : أستخيرُ الله وأنظُر ؛ فخرجتُ ولم أعد !!

□ من وسائل معرفة المرأة عندهم :

● وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ ، وأم سُلَيم تنظر إلى امرأة : « **شمّى عوارضَها ، وانظرى إلى عَقِبِها** »[٤٢].

● وقال النابغة[٤٣]:

ليست من السُّودِ أعقابًا إذا انصَرَفَتْ

ولا تَبِيعُ بجَنْبَىْ نخلةَ البُرَمَا

---

(٤٠) الرِّواق : بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد طويل وكساء مرسل على مقدم البيت – ستارة تشف عما وراءها .

(٤١) جفنة : قصعة . والثريد : ما يثرد من الخبز ويفت ثم يبلل بالمرق . المكلل : المخفوف بقطع اللحم . والسِّجف : الستار .

(٤٢) ذكره ابن الأثير فى مادة « عرض » من كتابه النهاية فى غريب الحديث والأثر وقال : وفيه أنه بعث أم سليم لتنظر امرأة فقال لها : شمّى عوارضَها .. إلخ « العوارض : الأسنان التى فى عُرض الفم ، وهى ما بين الثنايا والأضراس . أمرها بذلك لتختبر نكهتها وريح فمها . والعقِب : عظم مؤخر القدم ، وهو أكبر عظامها . وذكر الشيخ سيد سابق فى فقه السنة فى اختيار الزوجة : وكان رسول الله ﷺ يرسل بعض النسوة ليتعرفن بعض ما يخفى من العيوب ، فيقول لها : « شمّى فمها ، شمّى إبطيها ، انظرى إلى عُرقوبيها » . وجاء فى تحفة العروس : « شمى عوارضها وانظرى إلى عُرقوبيها » رواه أحمد والبزار . انظر مجمع الزوائد . وقال الهيثمى : رجال أحمد ثقات . وأبو داود فى المراسيل .

(٤٣) النابغة الذبيانى : هو أبو أمامة زياد بن معاوية أحد أشراف قبيلة ذبيان ، وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءة وهو كبير ، وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ولكنه آثر مدح الملوك . ونخلة مكان بين مكة والطائف . والبُرَم : جمع بُرْمة : قِدر من الحجارة ويروى : « البَرمَا » بفتح الباء : ثمر الأرك .

وقال الأصمعىّ : إذا اسوَدّ عقبُ المرأة اسوَدّ سائرُها .

□ اتخاذ أمهات الأولاد والسرارى والإماء :

● تزوج علىّ بن الحسين أمّ ولد لبعض الأنصار[٤٤]، فلامه عبد الملك فى ذلك ، فكتب إليه :

إن الله رفع بالإسلام الخسيسةَ ، وأتمّ النّقِيصَة ، وأكرم به من اللؤم ، فلا عارَ على مُسْلم ؛ هذا رسول الله ﷺ قد تزوج أمَتَه ، وامْرَأة عَبْدِه[٤٥].

فقال عبد الملك : إن علىّ بن الحُسَين يتشرف من حيث يتَّضِعُ النّاس .

● **الأصمعىّ قال** : كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهاتِ[٤٦] الأولاد حتى نشأ فيهم علىّ بن الحُسَين ، والقاسم بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله ابن عمر ، ففاقوا أهل المدينة فقهًا وَوَرَعًا ، فَرِغَبَ الناسُ فى السرارى[٤٧].

● وقال مَسْلَمةُ بن عبد الملك : عَجِبْنَا من رَجُلٍ أحْفَى شَعْرَه ، ثم أعْفَاه ، أو قصّر شاربَه ثم أطاله ، أو كان صاحب سَرارىّ فاتخذ المهيرات[٤٨]!

● قال رجل من أهل المدينة :

لا تَشْتُمَنّ امرأً فى أن تكون له ... أُمٌّ من الروم أو سوداءُ عَجْمَاءُ
فإنما أُمهات الناسِ أوْعِيَةٌ ... مُسْتَوْدَعَاتٌ وللأحْسَاب آباءُ
ورُبّ واضحةٍ[٤٩] ليست بِمُنْجِبَةٍ ... ورُبّما أنجَبَتْ للفحل سَوْدَاءُ

□ إياك والجمال الفائق ! :

● بلغنى أن رجلاً شاور حكيماً فى التزوُّج فقال له :

افعَلْ ، وإياك والجَمَالَ الفائق ؛ فإنه مَرْعًى أنيق[٥٠]؛ فقال : ما نهيتَنى

---

(٤٤) أمة كان سيدها قد اتخذها للولد .

(٤٥) أمته : مارية القبطية التى أهداها إليه المقوقس عظيم القبط بمصر . أما امرأة عبده فيقصد السيدة زينب بنت جحش بعد أن قضى زيد منها وطرًا فزوجه الله إياها .

(٤٦) أى اتخاذ الإماء لإنجاب الأولاد .

(٤٧) السَّرارى : جمع سُرِّية ، وهى الجارية المملوكة وعلى بن الحسين هو المعروف بزين العابدين . وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس ، وهى أخت أمهات القاسم وسالم .

(٤٨) المهيرات : الحرائر اللاتى لا تحل معاشرتهن إلا بعقد ومهر غال . وأحفى شعره : حلقه ، وأعفاه : تركه .

(٤٩) الوَضَحُ : البياض ، وقد كان البياض من مواصفات الجمال عندهم .

(٥٠) يقرى بالحوم حوله واجتياز حماه !

إلا عمّا أطلب !!

فقال : أما سمعت قول القائل :

ولن تصادفَ مَرْعَى مُمْرِعًا أبدًا إلا وجدتَ به آثارَ مُنْتَجِعِ[٥١]

□ عودة إلى الإماء :

وقال عُمَرُ بنُ الوليد للوليد بن يزيد :

إنك لَمُعجَبٌ بالإماء ، قال : وكيف لا أُعْجَبُ بهن و هن يأتين بمثلك ؟!

□ خيرُ النساءِ وشرُّهن :

ويُرْوَى عن أبى الدرداء أنه قال :

خَيْرُ نسائكم التى تدخل قَيْسًا ، وتَخْرُجُ مَيْسًا ، وتملأ بيتَها أَقِطًا وحَيْسًا .

وشرّ نسائكم السَّلْفَعَة ، التى تسمع لأضراسها قعقعة ، ولا تزال جارتُها مُفَزَّعة ، وقد فسّرت هذا فى كتاب غريب الحديث[٥٢].

□ أى النساء أشهى ؟ وأيهن أسوأ ؟ :

وقال معاويةُ لعَقِيل بن أبى طالب :

أى النساء أشهى ؟ قال : المؤاتية لما تهوى !

قال : فأى النساء أسوأ ؟ قال : المجانبة لما ترضى !

قال معاوية : هذا والله النقد العاجل .

قال عَقِيل : بالميزان العادل .

---

(٥١) المرعى : موضع الرعى . ممرع : كثير الكلأ خِصْب ، والمنتجع : طالب الكلأ وقاصده .

(٥٢) تدخل قيساً : خطواتها محسوبة ، لاتسرع ولا تبطىء ، وتخرج مَيْساً : فى اختيال وتبختر وتثنٍّ . والأقطُ : الجُبْنُ . أما الحَيْسُ فهو طعام متخذ من التمر والأقِط والسمن ، وقد يكون الدقيق أو الفَتِيتُ بدلاً من الأقِط ، ويقول الشاعر فى مرارة :

وإذا تكون كريهة أدعى لها وإذا يُحاسُ يدعى جُنْدُبُ

أما السَّلْفَعة : فهى الجريئة على الرجال طويلة اللسان فى بذاءة .

الأكْفَاءُ من الرجال

□ مَن ذلك الذى نرضاه زوجًا لابنتنا ؟ :

عن أبى هريرةَ قال : قال النبى ﷺ : « **إذا جاءكم من تَرضَوْن خُلُقَهُ وخُلُقَه فزوّجوه إنكم إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفسادٌ عريض !** »[1].

وعن الحسَن عن سَمُرة عن النبى ﷺ قال : « **الحَسَبُ المال والكرم التقوى** »[2].

□ لأى الزوجين تكون المرأة فى الآخرة ؟ :

● وعن أنسٍ قال : قالت أم حبيبة : يارسولَ الله ؛ المرأة منا يكون لها الزوجان فى الدنيا فتموت فلأيهما تكون فى الآخرة ؟

قال : « **لأحسنهما خُلُقًا يا أُمّ حبيبة . ذهب حُسْنُ الخُلُق بخيرى الدنيا والآخرة** »[3].

● عن عطية بن قيس قال : خطب معاوية أُمّ الدرداء فقالت : قال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « **المرأة لآخر زوجيها** »[4]؛ فلست بمتزوجة بعد أبى الدرداء حتى أتزوجه فى الجنة إن شاء الله تعالى .

ويُقال : إنما حرم أزواج النبى ﷺ من بعده لأنهن أزواجه فى الجنة .

---

(١) هناك روايتان للحديث أوردهما الترمذى فى صحيحه إحداهما عن أبى حاتم المزنى وحسّنه « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد » . قالوا : يارسول الله ، وإن كان فيه ؟! قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » « ثلاث مرات » .
والرواية الثانية عن أبى هريرة بلفظ « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » . وقال العراق ، ونقل عن البخارى أنه لم يعده محفوظاً ، وقال أبو داود : إنه خطأ . ورواه أبو داود فى المراسيل ، وأعله ابن القطان بإرساله ، وضعف رواته .

(٢) قال الجوهرى : الحسب : ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ، وقيل : حسبه : دينه ، وقيل : ماله . قال ابن السّكيت : الحسب والكرم يكونان بدون الآباء ، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء . والحديث ذكره ابن الأثير فى مادة « حسب » .

(٣) رواه أبو القاسم الطبرانى . انظر تفسير ابن كثير فى تفسير سورة الواقعة . وقال المنذرى أيضاً رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٤) أخرجه الطبرانى عن أبى الدرداء .

□ لا .. لإكراه الفتيات على الرجل القبيح ! :

عن هشام بن عُرْوة عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لا تُكرِهوا فتياتِكم على الرجل القبيح فإنهن يُحْبِبْن ما تحبون .

□ هذا لا أريده !، وذاك أريده !! :

ابن الأعرابى قال : قيل لابنة الخُسّ[٥]: ألا تتزوجين ؟ قالت : بَلَى ، لا أريده أخا فلان ، ولا ابن فُلان ! ولا الظريف المتظرف . ولا السمين الألحم[٦]. ولكن أريده كَسُوبًا إذا غدا ، ضحوكًا إذا أتى !

وكان أبوها قد كُفّ بَصَرُه ، فقال :

ما بال ناقتك؟

قالت : عينها هاجّ ، ومِلْؤها راجّ ، وتمشى وتَفَاجّ !

فقال : يابنية ؛ اعقليها ؛ فعقلتها . فقالت : ما صنعتُ حتى اضطرمت[٧]!

□ عَمّ يسألون ؟! :

قيل لأعرابى : فُلانٌ يخطب فلانة ؛ قال : أمُوسِرٌ من عقل ودين ؟ قالوا : نعم ، قال : فزوجوه .

□ لا لمن كان أصبحَ اللحية !! :

عن عيسى بن عمر قال : قال رجل لأعرابىّ : أمُنْكِحِى أنت ؟ قال : لا ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك أصبح اللحية[٨].

□ جَنبّنى هُجَنَاءَك ! :

● وكان عقيل بن عُلّفَة غيورًا ، فخطب إليه عبد الملك بن مَرْوان ابنته

---

(٥) هند الإيادية المعروفة بفصاحتها .

(٦) الألحم : كثير اللحم مترهله .

(٧) عينها هاجّ : غائرة ، وملؤها راجّ : يترجرج ويتحرك تعنى أنها قد امتلأت ، وكل ما فيها يرتج حيوية تعنى أنها بلغت النضج . وتمشى وتفاج : تفرج ما بين رجليها . اضطرمت : أى التهبت وهاجت ثائرة على العَقْل والقيد .

(٨) أصبح اللحية : مَن تعلو شَعْرَه حُمْرَة ، ويقال : صَبِحَ الشعرُ صَبَحًا وصَبْحَةً : خالط بياضه حمرة . فهو أصبح وهى صبحاء .

على أحد بنيه[٩]، وكانت لعقيل إليه حوائج ، فقال له : إن كنت لابد فاعلا فجنبنى هُجَنَاءَك[١٠].

● وخطب إليه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل – وكان إبراهيم بن هشام والىَ المدينة ، وخال هشام بن عبد الملك – فردّه لأنه كان أبيضَ شديد البَيَاض ، فقال :

ردَدْتُ صحيفة القرشىّ لَمَّا أبَتْ أعراقُــــه إلا احمرارَا[١١]

● وقال رجل من الأعراب :

يسموننا الأعرابَ والعَرَبُ اسمُنا وأسماؤهم فينا رِقابُ المزاوِدِ[١٢]

يعنى العجم يُسَمُّوْن الحمراء .

□ هكذا تفعل المهور ! :

ابن الأعرابى قال : قال عبد الملك بن مَرْوان لامرأة من قريش تزوّجَتْ رجلاً مَغْموصًا عليه[١٣]: أتنكحُ الحُرَّة عبدَها ؟!

فقالت : يا أميرَ المؤمنين :

إن المهـورَ تُنكِـحُ الأيَامَـــى الـنِّسوةَ الأرامِـــلَ اليتامَـــى
المرءَ لا تبغى له سلامَا[١٤]

□ الموت خير لها من بعل مَنْقصةٍ !! :

● وقال ابن الأعرابى : خطب رجل إلى رجل فلم يَرْضَهُ ، فأنشأ يقول :

قُلْ لِلذّيـن يَبْغُـون رَحْصَتَهـا ما رَخّصَ الجوعُ عندى أمَّ كُلْثومِ

---

(٩) أما ابنته فقد كان اسمها « الجرباء » وأما ابن عبد الملك فهو يزيد .

(١٠) هجناء : جمع هجين . وهو من أبوه عربى ، وأمه أعجمية . فهو ليس عربياً خالص الأعراق .

(١١) أبت أعراقه إلا احمراراً : الأعراق : الأصول . وكانوا يسمون العجم الحمراء . ورد الصحيفة : كناية عن الرفض .

(١٢) المزاود : جمع مزود : وعاء الزاد . والعرب تلقب العجم برقاب المزاود : لأنهم جرّ غلاظ الرقاب أجلاف عتاة – كما جاء فى المعجم الوسيط .

(١٣) مطعوناً عليه ، ومتهماً فى دينه وحسبه .

(١٤) وكما قال شوقى : « يامال ؛ الدنيا أنت ، والناس حيث كنت » أجابت المرأة : إن المال يجعل الأرامل يَقْبَلْن الزواج من غير المَرْضىّ عنه ، وإننا لنرى هذا فى (زماننا) قد ساد وانتشر .

الموتُ خيرٌ لها من بَعْلٍ مَنْقَصَةٍ ساقت إليه أباها جِلّةٌ كُوم[١٥]

● وكان عمر الخير نكّاحاً ، فكان فى عام سَنَةٍ يقول :

لَعَلّ الضيِّقة تحملهم على أن يُنْكِحُوا غير الأكفاء[١٦]!

□ حوار بين المُسَاوِر والمُرّار :

وقال المساور للمرّار[١٧]:

ما سَرّنى أنّ أُمّى من بنى أَسَدٍ وأن رَبّى يُنْجينى من النّارِ
وأنّهُمْ زوّجُونى من بناتِهُمُ وأنّ لى كلَّ يوم ألف دينارِ !

فأجابه المرّار :

فلستَ للأُمّ من عَبْسٍ ومن أسَدٍ وإنما أنتَ دينارُ بنُ دينارِ
وإن تكن أنتَ من عَبْسٍ وأُمّهِمُ فإنّ أمّكُمُ جارة الجارِ

دينار بن دينار : عبد ابن عبد .

وجارة الجار : الآست[١٨]. والجار : الفرج .

□ وحوار بين راغب فى الزواج وخاطبة :

وقال بعض الأعراب :

أقول لها لَمّا أتتنى تَدُلُّنى على امرأةٍ موصوفةٍ بِجَمال
أصَبْتِ لها - والله - بعْلاً كما اشتهت إن اغتفَرَت مِنّى ثلاثَ خِصالِ :
فمنهن فِسْق لا يُنادَى وليدُه ورقة إسلام ، وقِلّةُ مالِ[١٩]

---

(١٥) يقال : رُخصَ الشيء : نعم ولان ، فهو رُخص ورخيص . ما رخص الجوع : ما سهّل ويسّر أمر زواجها من ناقص . والجلّة : المسانّ من الإبل ومن الناس (للواحد وللجمع والذكر والأنثى) ويقال : ناقة جلّة وبعير جِلّ . أو هى الثنية إلى أن تبزل أو الجمل إذا أثنى . والكوم : القطعة من الإبل ، والكوماء : الناقة العظيمة السنام . وفى البيت الثانى إقواء (وهو المخالفة بين حركة الروىّ المطلق بكسر وضم) ولعل آخره : « جلة الكومِ » وبهذا يبرأ من الإقواء .

(١٦) السَّنَة : القحط ، والمجدبةُ من الأراضى ، ويقال : وقعوا فى السُّنَيّاتِ البيض ، وهى سنوات اشتددن على أهل المدينة .

(١٧) أما المساور فهو : المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسىّ ، وأما المرّار فهو : المرّار بن سعيد الفقعسى .

(١٨) الآست : الدّبر . تعبير عن حقارتها .

(١٩) جاء فى القاموس المحيط : ويقال : « أمر لا يُنادَى وليدُه » فى الخير والشر : أى اشتغلوا به حتى لو مد الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجراً . والمراد أن الفسق قد تمكن منه وصرفه =

□ ما صنعت شيئًا !! :

وقال رجل لابن هبيرة : أنا ابن الذى خطب إلى معاوية ، فقال ابن هبيرة : أفَزَوّجه ؟ قال : لا ؛ فقال : ما صنعت شيئًا !!

□ وَجّه إليه من يَرُدُّه ؛ لو سَلَح لزَوّجناه :

أبو الحَسَن المدائنى قال : خطب رجل من بنى كلاب امرأة ، فقالت له أمّها : ... حتى أسأل عنك !

فانصرف فسأل عن أكرم الحَيِّ عليها ، فدُلّ على شيخٍ فيهم كان يُحسِنُ المحضَر[٢٠] فى الأمر يُسْأل عنه ، فسأله أن يُحْسِنَ عليه الثناء ، وانتسب له[٢١] فعرفه ؛ ثم إن العجوز شَمّرت ، فسألته عنه فقال : أنا ربيته .

قالت : كيف لسانُه ؟ قال : مِدْرَهُ[٢٢] قومِه وخطيبهم .

قالت : كيف شجاعته ؟ قال : حامى قومِه وكَهْفُهُم[٢٣].

قالت : فكيفَ سماحته ؟ قال : ثمالُ القوم وربيعهم[٢٤].

فأقبل الفتى ، فقال الشيخ : ما أحْسَنَ – والله – ما أقبل ! ما انثنى ولا آنحنى .

فدنا الفتى ، فقال الشيخ : ما أحْسَنَ والله ما سَلّم ! ماجار[٢٥] ولا خار !

ثم جلس ، فقال الشيخ : ما أحْسَن والله ما جَلَس ! ما دنا ولا ثَنى .

=عن الأمور الهامة ، فما بالك بمن جمع إلى فسقه ضعف دينه وفقره ؟! ومن عجب أنه يطمع بمثالته هذه فى أن يكون البعل المنتظر !! وقد جاء فى العقد الفريد : فمنهن عجز لا ينادى وليده ! وقد فات صاحب الأبيات حديث رسول الله ﷺ : « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها » رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ، ورواه فى الثقات من قول الشعبى بإسناد صحيح .

(٢٠) حلو اللسان ، لا يذكر الغائب إلا بخير .

(٢١) ذكر له نسبه . وشمرت : بادرت وسارعت إلى السؤال عنه .

(٢٢) المِدْره : السيد الشريف ، وزعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم ، والحامى جمعه : مدارة .

(٢٣) الكهف : الملجأ والحصن الذى يلجئون إليه فى الشدائد ليحميهم .

(٢٤) ثِمال : الثمال الملجأ والغياث قال أبو طالب يمدح النبى ﷺ :

وأبيض يُستَسقى الغمام بوجهه
ثِمالُ اليتامى عصمة للأرامِلِ

(٢٥) جارَ : أصلها جأر : رفع صوته ، وخُفّفت همزتها لتناسب خار : ضعف ويسمى ذلك ازدواجًا .

فذهب الفتى ليتحرك فضَرِطَ ؛ فقال الشيخ : ما أحسَنَ والله – ما ضرط ! ما أغَنَّها ولا أطَنَّها ، ولا بَرْبَرَها ولا فرفرها[٢٦].

فنهض الفتى خَجِلاً ، فقال الشيخ : ما أحسَنَ – والله – ما نهض !،ما انفتل ولا انخزل[٢٧].

فأسرع الفتى ، فقال الشيخ : ما أحسن – والله – ما خَطَا ، ما ازوَرّ[٢٨] ولا اقْطَوْطَى !

قالت العجوز : وجّه إليه من يَرُدّه ، لو سَلَح[٢٩] لزوجناه !

□ خصال لا نرضاها لبنات إبليس ! :

خطب خالد بن صفوان امرأةً فقال :

أنا خالد بن صفوان – والحسب على ما قد علمتيه ، وكثرة المال على ما قد بلغك – وفِيّ خِصالٌ سأبينها لك فتُقْدمين عَلَيّ أو تَدَعِين ؛ قالت : وما هى ؟ قال : إن الحُرّة إذا دنت مِنّى أمَلَّتنى ، و إذا تباعدت عنى أعَلَّتنى ، ولا سبيل إلى درهمى ودينارى !

ويأتى علىّ ساعةٌ من المَلاَلِ لو أن رأسى فى يدى نبذتُه !، فقالت : قد فهمنا مقالتك ، ووعَيْنَا ما ذكرت ، وفيك – بحمد الله – خصالٌ لا نرضاها لبنات إبليس ، فانْصَرِف رحمك الله !

□ من وصايا المجربين لمن يهمهن الأمر ! :

● قال بعض الشعراء :

ألا يا ليلَ إن خُيِّرتِ فينـا بعيشِك فانظُرى أين الخيارُ ؟!
فلا تستنكحى فَدْمًا غَبِيًّا له ثارٌ وليس عليه ثَارُ[٣٠]

---

(٢٦) ما أغنها : جعل لها غُنّة والطين ضرب من الأصوات كصوت الناقوس والعود . والمراد أنه لم يجعل لها جلجلة فى المخيل ، ويقال : بربرت الدلو : صوتت ، وبربر الأسد : علا صوته . وفرفره : صاح به ، وفَرفَر الشيءَ : كسره وقطعه ونفضه .

(٢٧) انفتل : التوى ، وانخزل : مشى فى تثاقل ، والمقصود أنه كان نموذجاً فى انصراف واعتدال تصرفه !

(٢٨) ازوَرّ : مال وانحرف ، واقطوطى : تثاقل فى مشيه .

(٢٩) سَلَح : فعل ما هو فوق الضراط وهو الرَوْث ! وصدق الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ كما أن عين السُّخط تبدى المساويا

(٣٠) تستنكحى : تطلبى نكاح رجل فَدم : والفَدم العَيُّ عن الحجة والكلام فى رخاوة وسوء فهم . ليس له وجود بين الشجعان الذين يؤثرون لكرامتهم . وليلَ : منادى مرخم حذف آخره .

● وقال آخر لامرأته :

فإمّا هلكتُ فلا تنكحى ظلومَ العشيرةِ حسّادَها
يرى مَجْدَه ثَلْبَ أعراضِها لديه ويُبغض من سادَها[٣١]

● وقال آخر :

فلا تنكِحِى إن فرّق الدّهرُ بيننا أغمّ القَفَا والوجهِ ليس بأنْزَعَا[٣٢]
من القوم ذا لونين وسَّعَ بطنه ولكن أَذِيًّا حِلْمُهُ ما توسّعَا[٣٣]
ضَرُوبًا بلَحْيَيْهِ على عَظْمِ زَوْرِه إذا القوم هَشُّوا للفعَالِ تَقَنَّعَا[٣٤]

□ لماذا عيروه ؟! :

● زوّج إبراهيم بن النعمان بن بشير يحيى بن أبى حفصة مولى عثمان بن عفّان ابنته على عشرين ألف درهم فعُيِّر ؛ فقال :

فمائَرَكَتْ عِشْرونَ ألْفًا لقائِلٍ مقالاً فلا تحفِل مقالةَ لائم
فإن أكُ قد زوّجْتُ مولًى فقد مضَتْ به سُنّةٌ قبلى وحُبُّ الدراهم

ويحيى هذا جد **مروان** الشاعر ، وكان **يهوديًا** فأسلم على يد عثمان[٣٥].

● وتزوّج – أيضاً – خولةَ بنت مقاتل بن طَلْبة بن قيس سيّد أهل الوَبر فقال القُلاخ[٣٦]:

نُبِّئتُ خوْلَةَ قالت حين أنْكَحَها لَطَالَما كنتُ – مِنك العارَ – أنتظرُ
أنكحتَ عبدَيْن ترجو فضلَ مالهما فى فيك – مما رجوتُ – التُّرب والحجرُ
لله درّ جيادٍ أنت سائسُها بَرْذَنَتَها وبها التّحْجيلُ والغُرَرُ[٣٧]

---

(٣١) هذا الشعر لحسان بن ثابت كما جاء فى ديوانه ، وجدير بمن كان يتّصف بالظلم والحسد ، والنيل من أعراض غيره ، وبغض من هم فوقه ألا يُعاشِرَه أحد !

(٣٢) أغم القفا : ثِقَلُ شعر القفا وامتداده حتى يضيق به الوجه والقفا مما يدل على لؤم صاحبه ، أما الأنزع فهو : مَن انحسر مقدم شعر رأسه عن جانبى الجبهة والعرب تحب النزع وتتيمن به وتكره الغَمَمَ وتذمه .

(٣٣) أذِيًا : ليس لديه احتمال ، شديد التأذى ضيق الصدر .

(٣٤) تقنعا : توارى واختبأ ولم يبادر معهم إلى ميادين الخير ومجالات المجد ، والفَعال : الأعمال الحميدة والكرم .

(٣٥) وإذا عرف السبب فى المعايرة بطل العجب !

(٣٦) ذكره المؤلف فى كتابه : « الشعر والشعراء » وهو القُلاّخ بن جناب بن حزم .

(٣٧) برذنتها : غلبتها وقهرتها ، وهى الأصيلة المحجّلة . وفى جبهاتها بياض يدل على كرم أصلها .

□ الآن لا أرضاك لها :

خطب رجل إلى ابن عباس يتيمة له ، فقال ابن عباس : لا أرضاها لك ، فقال : ولِمَ وفى حجرك نشأت ؟ قال : لأنها تَتَشَرّف[٣٨] وتَتَطَلّع !

قال : وما هذا ؟! فقال ابن عباس : الآن لا أرضاك لها !

□ طغيان المال وهل يرتفع بنسب الرجال ؟! :

كتب زيادٌ إلى سعيد بن العاص يخطب إليه « أم عثمان بنت سعيد » وبعث إليه بمال كثير ؛ فلما قرأ الكتاب أمَرَ حاجبه بقبض المال والهدايا ، فلما قبضها أمره بقَسْمِها بين جُلَسَائه ، فقال الحاجب : إنها أكثر من ذلك ؛ فقال : أنا أكثر منها ! ففعل ؛ ثم كتب إلى زيادٍ :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد .. فـ ﴿ إن الإنسانَ ليطغى ، أن رآه استغنى ﴾[٣٩].

□ كُفْءٌ كريم !! :

خطب لقيطُ بن زُرارة إلى قيس بن خالد ذى الجَدّين الشيبانىّ ؛ فقال له قيس : ومَن أنت ؟ قال : لقيط بن زُرارة .

قال : وما حَمَلَك أن تخطب إلىّ علانيةً ؟!

فقال : لأنى عرفت أنّى إن عَالَنْتُك لم أفضَحْك ، وإن سارَرْتُك لم أُخْدَعْك ؛ فقال : كُفْء كريم !؛ لا تبيت والله عندى عزَبا ولا غريبًا ، فزوّجه ابنته وساق عنه[٤٠].

□ زوّجها ممّن يتقى الله ! :

قال رجل للحسن : إن لى بُنَيّة وإنها تُخْطَب ، فممّن أُزَوّجُها ؟ فقال : زَوِّجْها ممن يتقى الله ، فإن أحبَّها أكرَمها ، وإن أبْغَضَها لم يَظْلِمْها .

---

(٣٨) تتطلع وتحب أن تنظر ما هنالك .

(٣٩) اقتباس لطيف من سورة العَلَق بقيّة الآية السادسة ومعها الآية السابعة . وبعض الناس يخيل إليه فى عصرنا أنه بماله يستطيع أن يشترى الناس ! وأول الآية : ﴿ كلاّ إن الإنسان ليطغى ﴾ [العلق : ٦] .

(٤٠) ساق عنه : قدم لابنته مهرها بدلاً منه .

□ لماذا رَفَضَتْ ؟ ولماذا أجابت ؟!! :

قال أبو اليقظان : خطب **عمرُ بن الخطّاب** « **أُمّ أبان** » بنت عُتْبة بن ربيعة بعد أن مات عنها يزيد بن أبى سفيان ، فقالت :

لا يدخُل إلا عابسًا ، ولا يخرج إلا عابسًا ، يُغْلق أبوابَه ويُقِلُّ خيرَه .

ثم خطبها **الزبير** ، فقالت : يدٌ له على قرونى ، ويد فى السوط[٤١].

وخطبها **علىّ** ، فقالت : ليس للنساء منه حَظٌّ إلا أن يقعدَ بين شُعَبِهن الأربع لا يُصبِنَ منه غيره !

وخطبها **طلحة** فأجابت فتزوجها .

فدخل عليها على بن أبى طالب فقال لها : رَدَدْتِ مَن رَدَدْتِ ، وتزوّجتِ ابنَ الحَضْرَمِىّ ! فقالت : القضاء والقدر !

فقال : أما إنك تزوجتِ أجملَنا مَرآةً ، وأجودَنا كفًّا ، وأكثَرَنا خيرًا على أهله !

□ ألك امرأة ؟! :

عن عكّاف بن وَدَاعةَ الهلالىّ : أن النبى ﷺ قال له : « **يا عكاف ؛ ألك امرأة ؟** » قال : لا . قال : « **فأنت إذن من إخوان الشياطين . إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فمن سنتنا النكاح** »[١].

□ ليس من الإسلام ... :

عن طاوُس أن رسول الله ﷺ قال : « **لا زِمامَ ، ولا خِزَام ، ولا رهبانيةَ فى الإسلام ، ولا تبتلَ ، ولا سياحة فى الإسلام** »[٢].

---

(٤١) يمسك بشعرها وفى يده سوطه .

(١) ورد هذا الحديث مطولاً فى أسد الغابة الجزء الرابع ص ٣ .

(٢) فى الحديث نهى عما كان يفعله أهل الديانات السابقة من زم الأنوف وخرقها ووضع زمام فيها كزمام الناقة . أما الخزام : فهو حلقة من شعر تجعل فى أحد جانبى منخرى البعير كما كان عباد بنى إسرائيل يفعلون إلى غير ذلك من أنواع التعذيب التى رفعت عن المسلمين . ونهى الرسول ﷺ عن الرهبنة والعزلة وما يتبع ذلك من تخلّ عن الجانب الإيجابى فى عمارة الأرض والتمتع بما خلق =

□ **ما يمنعك من النكاح ؟! :**

عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لى طاؤس : لتَنْكِحَنّ أو لأقولَنّ لك ما قال عُمَرُ لأبى الزوائد : ما يمنعك من النكاح إلا عَجْزٌ أو فُجور !

□ **لعَلّ وعَسَى !! : (أمنية زوج واقعى !)**

عن إبراهيم قال : قال علقمة لامرأته : خذى أحسنَ زينَتِك ، ثم اجلسى عند رأسى ؛ لعل اللهَ أن يرزقك من بعض عُوّادى[٣] خيراً !!

□ **من سنن المرسلين ! :**

وفى بعض الأخبار : أربع من سنن المرسلين : « **التعطر ، والنكاح ، والسواك ، والختان** »[٤].

بابُ الحُسْن والجمـال

□ **كيف رأيتِ ؟! :**

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : خطب رسول الله ﷺ امرأة من كلب ، فبعثنى أنظر إليها ؛ فقال لى : « **كيفَ رأيتِ** » ؟ فقلت : ما رأيت طائلاً ؛ فقال : « **لقد رأيتِ خالاً بخدّها اقشعَرّ كلُّ شعرةٍ منك على حدة** » فقالت : ما دونك سِرّ[١]!

□ **أصبحتَ جميلاً !! :**

القَحْذَمِىّ قال : دخل أبو الأسود على عُبَيْد الله بن زياد فقال : أصبحتَ

= الله . أما التبتل فهو الانقطاع عن النساء وترك النكاح والسياحة : الذهاب فى الأرض على غير هدى ودون هدف : قال ابن الأثير : أراد مفارقة الأمصار ، وسكنى البرارى ، وترك شهود الجمعة والجماعات . وقيل : أراد الذين يسعون فى الأرض بالشر والنميمة والإفساد .

(٣) العُوّاد : جمع عائد وهو الذى يعود المريض فى مرضه !

(٤) ذكره المناوى فى فتح القدير الجزء الأول برقم ٩١٩ بلفظ : « أربع من سنن المرسلين : الحياءُ والتعطر ، والنكاح ، والسواك » عن أبى أيوب . قال الترمذى : حديث حسن غريب ، وتبعه المصنف فرمز لحسنه .

(١) نقله العلامة أحمد تيمور عن الروض الأنف .

جميلاً ، فلو تعلّقت مَعَاذةً[٢]! فظن أنه يهزأ به فقال :

أفنى الشَّبَابَ الذى أبلَيْتُ جِدّتَه مَرُّ الجَديدَيْن[٣] من آتٍ ومُنطَلِقِ
لم يُبْقِيالى فى طول اختلافِهما شيئًا يُخَافُ عليه لَذْعةُ[٤] الحَدَقِ

□ ماذا يفعل الجمال فى وجوه الرائين ؟ :

عن حَيّانَ بنِ عُمَيْرٍ قال : دخلت علىَ قَتَادَةَ بن مِلْحان ، فَمَرّ رجل فى أقصى الدار ، فرأيته فى وجه[٥] قتادة فقال : إن النبى ﷺ مَسَح وَجْهَه .

□ هؤلاء من خالصة الله ! :

عن عون بن عبد الله قال : كان يقال : من كان فى صورة حَسَنَةٍ ، ومَنْصِبٍ لا يَشِينُه ، ووُسّع عليه فى الرزق ، كان من خالصةِ الله[٦].

□ قالوا فى الجمال والحسن :

● وقال الحكم بن قَنْبَر :

ليسَ فيها ما يُقَالُ له كَمَلَتْ لو أَنّ ذا كَمَلاَ
كلّ جُزءٍ من مَلاَحتها كائنٌ من حُسْنِها مَثَلا
لو تمنّت فى متاعَتِهـا لم تُرِدْ من نفسها بدلاَ[٧]

---

(٢) ما يُتَعَوذ به ليقى الإنسان من الحسد والعين . والمعاذَة : العُوذة ، والتميمة ، والرُّقْيةُ يرق بها الإنسان .

(٣) مَرّ الجديدين : مرّ الليل والنهار .

(٤) لذعة الحدق : نظرة العين الحاسدة الحاقدة .

(٥) فرأيته فى وجه قتادة كما يرى الإنسان الصورة فى المرآة ، وذلك أن النبى ﷺ مسح وجهه . وفى أخبار النساء : « فرأيت صورته فى وجه قتادة » . ذكره ابن حجر فى الإصابة .

(٦) ذكره الخرائطى عن أبى مليكة من حديث جريج عن ابن عباس يرفعه : « من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وخلقاً حسنا وجعله فى موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه » وذكره ابن القيم فى روضة المحبين ص ٢٢٤ .

(٧) عندما يرى الناس جميلاً يتحسرون ويقولون : « الحلو لا تكتمل حلاوته ! » . ولكن صاحبتنا هذه « كملت » وليس فيها ما يقال له : آه لو تم لها كذا ! فكل جزء منها مثل فى حسنه ، ونموذج لإبداع خالقه ، ولو خيرت فى ظرفها وبلوغها الغاية فى الكمال والجمال ما طلبت غير ما هى عليه ، ولم تبغ عن نفسها بدلاً .

والحكم بن محمد بن قنبر المازنى ، وقد تُرجِمَ له فى الأغانى ج ١٣ .

● وقال بعض المحْدَثين :

فلما رآكِ العاذلون حَجَحْتُهم بِحُسْنِك حتى كلُّهم لِى عاذِرُ[8]

● وقال أيضاً :

تَحَيَّر من حُسْنِه فهمُه وتاهَ وحَقّ له أن يتيهَا
رأى غيره ورأى نفسَه فلم يَرَ فيه لشيءٍ شبيهاً

وقال الأعشى[9] فى وصف امرأة :

فـــأفضيتُ منها إلى جنـــةٍ تـــدلّت علـــىّ بأثمارهـــا !!

□ صباحة الوجه مطلوبة حتى فى الإمامة ! :

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواءً فأصبحهم وجهًا !

□ جميل يغار على بثينة من جمال مُصْعب !! :

وقال جميلُ بن مَعْمَر[10]: ما رأيت مُصعَبًا يختالُ بالبلاط إلا غِرْتُ على بثينة وبينهما ثلاثة أيام !

□ مصعب وعائشة بنت طلحة !! :[11]

عن الشعبى قال : دخلت المسجد باكرًا ، وإذا بمصعب بن الزبير والناس

---

(٨) العاذلون : اللائمون . حَجَحْتُهم : أقمتُ عليهم الحجةَ بحسنِك الباهر حتى أنهم يلتمسون العذر لى بعد أن كانوا يلومونني .

(٩) الأعشى : أبو بصير ميمون أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، وله قصائد مطولة ، وعده الكثيرون من أصحاب المعلقات .

(١٠) يُعَدّ جميل بن مَعْمَر العُذرى مثال الغزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية ، وأحب ابنة عمه بثينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعراً يدل على شعور صادق وحب طاهر عفيف ، وقد لقى فى سبيل ذلك العنت والنفى حتى لجأ إلى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان مات سنة ٨٢ هـ وشعره جميل حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ، ويعده النقاد فى البادية نظير عمر بن أبى ربيعة فى الحاضرة ، وكلاهما حجازى . وقد كان مصعب بن الزبير وضيئاً جميلاً حتى قيل فيه :

كأنما مصعب شهاب من اللـــ ـــه تجلت عن وجهه الظلماء !

ومُصعب (٢٦ – ٧١ هـ) (٦٤٧ – ٦٩٠) أخو عبد الله بن الزبير الخليفة المنافس لعبد الملك ابن مروان . ناب عن أخيه فى العراق اشتهر بشجاعته وكرمه . والبلاط : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين المسجد النبوى وسوق المدينة .

(١١) عائشة بنت طلحة (ت ١٠١هـ/ ٧١٩م) أديبة عالمة بأخبار العرب . من شهيرات النساء فى العصر الأموى بالنسب والجمال والذكاء والمروءة أبوها طلحة من خيار الصحابة ، وأمها أم كلثوم ابنة الخليفة أبى بكر وخالتها عائشة أم المؤمنين .

حوله ، فلما أردت الانصراف قال لى : ادنُ ، فدنوتُ منه حتى وضعت يدى على مِرْفَقَتِه ، فقال :

إذَا أنا قمتُ فاتْبعْنى ، وجلسِ قليلاً ، ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتَتَبّعْتُه ، فلما أمعن فى الدار التفتَ إلىّ وقال : ادْخُلْ ، فدخلتُ معه ، ومضى نحو حجرته وتبعتُه ، فالتفت إلىّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ، فإذا حَجَلَةٌ[١٢]، فطُرِحت لى وسادة ، فجلست عليها ، ورُفع سَجْفُ القبة ، فإذا أجمل وجه رأيته قط ؛ فقال :

يا شعبى ، هل تعرف هذه ؟ قلت : نعم . هذه سيدة نساء العالمين عائشة بنت طلحة . فقال : هذه ليلى ، ثم تمثل[١٣]:

ومازلتُ من لَيْلَى لَدُن طَرّ شاربى إلى اليوم أُخْفِى إحْنَةً وأُداجِنُ
وأحمِلُ فى ليلَى لقوم ضَغينـةً وتُحْمَلُ فى ليلى علىَّ الضغائن

ثم قال : إذا شئت يا شعبىّ فقم ، فخرجت ؛ فلما كان العشِىّ رُحْت إلى المسجد ، فإذا مصعب بمكانه ، فقال لى : آدن فدنوت ؛ فقال لى : هل رأيت مثل ذلك لإنسان قط ؟ قلت : لا .

قال : أتدرى لِمَ أدخلناك ؟ قلت : لا . قال : لتحدث بما رأيت . ثم التفت إلى عبد الله بن أبى فروة فقال :

أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبًا ، فما انصرف يومئذ أحد بمثل ما انصرفت به : بعشرة آلاف درهم ، وبمثل كارة القصّار[١٤]، ونظرى إلى عائشة !

□ الصقيلَ الصقيل !! :

أبو الغصن الأعرابى قال : خرجت حاجًّا ، فلما مررت بقُبَاء تداعى[١٥]

---

(١٢) حَجَلة : ساتر مثل القبة يزين بالثياب والستور للعروس . وسِتْر يضرب للعروس فى جوف البيت . والجمع : حَجَل وحِجال .

(١٣) تمثل بقول كثير عزة . وطرّ شاربه : طلع ونبت كناية عن البلوغ . والإحنة : الحقد وجمعها إحَن . والمداجنة : المداهنة .

(١٤) القصار : الذى يدق الثياب حتى تبيض وكان النسيج يُهيَّأ بعد نسجه وبَلّه بالقَصَرة . وكارة القصار : هى التى يكورها فى ثوب واحد ليحملها ، فيكون بعضها فوق بعض ، وقد خرج الشعبى من عند مصعب بمجموعة من الثياب .

(١٥) تداعى أهله : دعا بعضهم بعضاً ليجتمعوا .

أهلُه وقالوا : الصَّقِيلَ[١٦] الصَّقيلَ !؛ فنظرت وإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل[١٧]، فلما رميناها بالحَدَقِ ألقت البرقع على وجهها ، فقلنا : إنا سَفْرٌ[١٨] وفينا أجْر ، فأمتعينا بوجهك فانصاعت وأنا أعرف الضحك فى وجهها[١٩]، وهى تقول :

وكنتَ متى أرسلتَ طرفَك رائدًا لقلبك يومًا أتْعَبَتْك المناظرُ
رأيت الذى لا كُلُّهُ أنت قادرٌ عليه ولا عَنْ بعضِه أنتَ صَابرُ

□ ما يُقيمك على الغزال النجدى ؟! :

ومَرّ رجل بناحية البادية ، فإذا فتاة كأحسن ما تكون ، فوقف ينظر إليها ، فقالت له عجوز من ناحية : ما يُقيمك على الغزالِ النَّجدى ولا حظَّ لك فيه ؟! فقالت الجارية :

يا عَمّتَاه ، يظنّ كما قال ذو الرُّمة[٢٠]:

وإن لم يكن إلا تَعَلُّل ساعةٍ قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلُها

□ الخال والشيب ! :

وقال بعض المحدثين :

الخالُ يَقْبُح بالفتى فى خـدّه والخالُ فى خدِّ الفتاةِ مَلِيحُ
والشيبُ يَحْسُن بالفتى فى رأسِه والشيبُ فى رأسِ الفتاةِ قَبيحُ

□ الجمال مرحوم ! :

وقال جعفر بن محمد : الجمال مرحوم !

□ عم يبحث ؟! :

رأى رجلٌ شُرَيحًا يجول فى بعض الطُّرق فقال : ما غدا بك ؟ فقال : عَسِيتُ أن أنظُرَ إلى صورة حسنة !

(١٦) الصقيل : المصقول الجلوّ ، كالسيف .
(١٧) يقال للسيف : الصقيل لجلائه .
(١٨) سفر : مسافرون . أو على سفر .
(١٩) مما ادّعوه من حُصُول الأجر لها إن هى أمتعتهم بوجهها !
(٢٠) هو غيلان بن عقبة صاحب مَيّة وخرقاء نشأ فى بيت أهله شعراء فكان أنبههم ذكراً وأبعدهم صيتاً ، وكان هواه مع الفرزدق على جرير لعصبية نسبية ، وعلى شعره مسحة البادية ، وصدق العشق . وتعلّل بالأمر : تلهى به واكتفى . وفى أخبار النساء « تمتع » وفى الأغانى : « إلا معرس ساعة » .

□ عمود الجمال ورُوَاؤه وبُرْنُسُه :

قالت امرأة خالد بن صفوان له يومًا : ما أجمَلَك !

قال : ما تقولين ذاك ومالى عمودُ الجمال ، ولا علىّ رداؤه ولا بُرْنُسُه ؛

قالت : ما عمودُ الجمال ، وما رداؤه ، وما بُرْنُسُه ؟

قال : أما **عمودُ الجمال** : فطولُ القَوام وفِى قِصَر !

وأما **رداؤه** : فالبياضُ ، ولستُ بأبيض !

وأما **بُرنُسُه**[٢١]: فسوادُ الشَّعْر وأنا أصْلَع !

ولكن لو قلتِ : ما أحلاكَ ، وما أمْلَحَكَ ! كان أولى .

□ جيش الطواويس :

أبو اليقظان قال : كان يُسَمّى جيشُ ابن أبى الأشعث « **جيشَ الطواويس** » لكثرة من كان فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال .

□ موقف عمر بن الخطاب من مَعْقِل :

قال : وقال أبو اليقظان : سمع عمر بن الخطاب قائلاً بالمدينة يقول :

أعوذُ بربِّ الناس من شَرِّ مَعْقِلٍ إذا مَعْقِلٌ راح البقيعَ مُرَجَّلاَ

يعنى مَعْقِل بن سنان الأشجعى ، وكان قَدِمَ المدينة ، فقال له عمر : ٱلْحَقْ ببادیتك !

□ وموقفه من نصر بن حجاج ! :

وسمع امرأة ذات ليلة تقول :

ألا سبيلَ إلى خَمْرٍ فأشربَها أم هل سبيلٌ إلى نَصْرِ بنِ حَجّاج ؟!

وهو نصر بن حجّاج بن عِلاط البَهزىّ ، وكان من أجمل الناس ، فدَعَا به عمر فسيّره إلى البصرة – فأتى مجاشعَ بن مسعود السُّلَمِىّ[٢٢]، فدخل عليه يوماً وعنده امرأته شُمَيْلة[٢٣]، وكان مجاشع أُمِّيًّا ، فكتب نصر على الأرض : « **أحبُّك حُبًّا لو كان فوقك لأظلك ، أو تحتك لَأَقَلَّكِ** ! » فكتبت هى : وأنا – والله – كذلك !

---

(٢١) البُرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، وقلنسوة طويلة ، ورداء ذو كمين يلبس بعد الاستحمام . والمراد هنا القلنسوة .

(٢٢) أمير البصرة . (٢٣) وكانت من أجمل النساء .

فكبّ مجاشع على الكتابة إناء ثم أدخل كاتبًا فقرأه ، فأخرج نصرًا وطلقها[٢٤]- فقال نصر بن حجاج :

وما لِيَ ذنبٌ غيرَ ظَنٍّ ظننتُه ... وفى بعضِ تصديقِ الظنونِ أثَامُ
لعَمْرِى إن سيّرتنى أو حَرَمْتَنِى ... وما نلتُ ذَنبًا إنّ ذا لحَرَامُ
أإن غَنّتِ الدِّلفاء ليلاً بمُنْيةٍ ... وبعضُ أمانِىّ النساءِ غرامُ
ظننتَ بَىَ الظّنَّ الذى ليسَ بعدَه ... بقاءٌ وما لِى فى التَدِىّ كلامُ
فأصبحتُ منفيًّا على غيرِ ريبةٍ ... وقد كان لى بالمكّتَيْن مُقامُ
ويمنَعُنى مما تمنّتْ تكرُّمِى ... وآباءُ صِدقٍ سَالِفُون كِرامُ
ويمنعُها مما تمنّتْ حَياؤها ... وحالٌ لها مَع عِفّةٍ وصِيَامُ
وهاتان حالانا فهل أنت راجعى ... وقد خفَّ مِنّى كاهلٌ وسَنَام ؟!

وأنا أَحْسَبُ هذا الشعرَ مصنوعاً .

□ قالوا فى الوجوه المضيئة :

● قال لقيط بن زُرارة[٢٥]:

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم ... دُجَى اللّيل حتى نظّم الجَزْعَ ثاقبُهْ

● وقال أبو الطمحان الليثّى :

يكادُ الغمامُ الغُرّ يُرْعَدُ أنْ رأى ... وُجوهَ بنى لَأْمٍ ويَنْهَلّ بارِقُه[٢٦]

● وقال آخر :

وُجُوهٌ لَوَ آنّ المعتفين اعْتَشَوْا بها ... صَدَعْن الدُّجَى حتى ترى الليلَ ينجلى[٢٧]

● وقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه –:

إنا إذا سمعنا بكم شعرَنا أحسنكم **وجوهًا** ، **وإذا اختبرناكم** كانت الخبرة أولى بكم[٢٨].

---

(٢٤) خلف عليها عبد الله بن عباس .

(٢٥) نص المؤلف فى كتابه الشعر والشعراء على أن هذا البيت للقيط ثم قال : وبعض الرواة ينحل هذا الشعر أبا الطمحان الليثى وليس كذلك . والجَزْع : ضرب من العقيق .

(٢٦) بنو لَأْم : هم بنو لأم بن عمرو بن ظريف .

(٢٧) المعتفين : كل طالبى الفضل أو الرزق . واعتشى فلان : سار فى أول الليل .

(٢٨) الذى جاء فى مناقب سيدنا عمر : عن عدى بن ثابت قال : قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أحبكم إلينا مالم نركم أحسنكم اسماً ، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم أخلاقاً ، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة .

● قال على بن أبى طالب – كرم الله وجهه –: خُصِصْنا بخمسٍ : بصباحةٍ ، وفصاحة ، وسماحةٍ ، ورجاحةٍ ، وحُظْوَةٍ (يعنى عند النساء) .

وسئل عن بنى أمية فقال :

هم أغدر ، وأفجر ، وأمكر ، ونحن أفصح ، وأصبح ، وأسمح .

□ ثلاثة رجال وامرأة :

رأتْ امْرأةٌ **الزُّبَيْرَ** فقالت : من هذا الذى هو أرقمُ يَتَلَمّظ[٢٩]؟!

ورأت **عليًّا** فقالت : من هذا الذى كأنه كُسِرَ ثم جُبِرَ ؟!

ورأت **طلحة** فقالت : من هذا الذى كأنه دينار هِرَقْلِىّ[٣٠]؟!

□ نساء جئن مع جارية :

وقال بعض الشعراء يذكر نساء جئن مع جارية :

أقبَلْـن فى رَأْىِ الضّحَـاء بها وستَرْن وَجْهَ الشمس بالشمس[٣١]

□ هكذا كان يراها ! :

ذكر بعض الأعراب امرأةً قال : خلوتُ بها والقمر يُرِينِيها ، فلما غاب أَرَتْنِيه !

□ غلام رماه الله بالحسن ! :

وقال بعض الشعراء[٣٢]:

غلامٌ رماه الله بالحسن[٣٣] يافعًـا له سِيمِيَاءُ لا تَشُقُّ على البَصَرِ[٣٤]

(٢٩) الأرقم : ذكر الحيات أو أخبثها . والتلمظ إخراج اللسان وتحريكه فى نواحى الفم كما يفعل الإنسان بعد الأكل ليأخذ بلسانه ما يبقى فى فمه .

(٣٠) هرقل ملك الروم ، وكان دينار أحمر والدينار الهرقلى منسوب إلى هرقل .

(٣١) رَأْد الضُّحَى : انبساط شمسه ، وارتفاع نهاره . ومثلها : رَأْد الضّحَاء ممدود مذكر .

(٣٢) جاء فى الأغانى لأبى الفرج أن هذا الشعر مدح به عويف القوافى عبد الرحمن بن محمد بن مروان ، وكان قد كفاه فى حمالة لزمته ، ثم قال : إن أبا زيد يذكر أن هذه الأبيات لابن عنقاء الفزارى فى ابن أخيه ، وكان قد شاطره ماله . وأن عويفاً تمثل به ؛ فهو مدح وليس غزلاً .

(٣٣) يرى النقاد القدامى – كما جاء فى الأغانى – أن صحة البيت : « رماه الله بالبِرّ » . قال ابن برى : وحكى على بن حمزة أن أبا رياش قال : لا يروى بيت ابن عنقاء الفزارى :

« غلام رماه الله بالحسن » إلا أعمى البصر لأن الحُسنَ مولود ، وإنما هو :

« رماه الله بالخير يافعاً » .

(٣٤) لا تشق على البصر : أى يفرح به من ينظر إليه وتقرّ عينه .

كأن الثُّريّا عُلّقت فى جبينه ... وفى أنفه الشّعرى وفى وجه القمر[٣٥]
ولما رأى المجدَ استُعِيرَتْ ثِيابُه ... تردّى بثوبٍ واسعِ الذَّيْلِ وَأْتَزَر
إذا قيلت العَوْراء[٣٦] أغضى كأنه ... ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصَر

□ غلام وأمّه :

قال غلام من الأعراب لأمه :

نشدتُك باللهِ هل تعلمينَ ... بأنى طويلٌ وأنّى حَسَنْ

قالت : قبحك الله ! فكان ماذا ؟ قال :

وأنّى أقمّصُ بالدّارعينَ ... غداةَ الصّباحِ وأُخمِى الظُّعُن[٣٧]

قال عمُّه : فهلاّ كان ذا قبل !

□ هى وشَعْرها ! :

قال الشاعر :

بيضاء تَسْحَبُ من قيامٍ شعرها ... وتغيبُ فيه وهو جَثْلٌ أَسْحَمُ[٣٨]
فكأنها فيه نهارٌ ساطِعٌ ... وكأنه ليلٌ عليها مُظْلِمُ

□ كيف تبدو فى النهار والليل ؟ :

وقال الطائى :

بيضاء تَبْدُو فى الظَّلامَ فيَكْتَسِى ... نُورًا وتَبدُو فى النّهار فَيَظْلِمُ

□ أعرابى يصف امرأة :

وصف أعرابىّ امرأةً فقال : كادَ الغزالُ يكونُها ؛ لولا ما تمّ منها ونَقَصَ منه !

---

(٣٥) ذكر صاحب الأغانى هذه الأبيات لكنه روى الشطر الثانى من هذا البيت :
« وفى خده الشّعرى وفى جيده القمر »

(٣٦) العوراء : ما يعاب كالكلمة القبيحة .

(٣٧) الدارعين : جمع دارع وهو لابس الدرع البطل ، وأقمص بهم أفعل بهم كما تفعل الدابة حين تنفرد وتضرب برجليها لتواجه من يحدى عليها . وغداة الصباح : وقت الغداة والظُّعُن : جمع ظعينة والمراد النساء .

(٣٨) أما الشاعر فهو كما جاء فى أمالى القالى : بكر بن النطاح . وقد جاء فى أشعار الحماسة « فرعها » بدلاً من « شعرها » . وجثل أسحم غزير أسود .

□ فيم تكون الحلاوة ؟ وفيم يكون الجمال ؟ وفيم تكون الملاحة ؟ :

قال ابن الأعرابى :

- الحلاوة فى العينين .
- والجمال فى الأنف .
- والملاحة فى الفم .

□ أعرابى يصف امرأة :

قال أعرابى يصف امرأةً :

خُزَاعِيَّةُ الأطرافِ ، مُرِّيَّةُ الحَشا فَزَارِيَّةُ العينين ، طائيةُ الفَمِ[٣٩]

□ لماذا كان المقنع الكندى يتقنَّع ؟! :

كان المقنع الكِندى من أجمل الناس ، وكان يتقنع[٤٠] لأنه كان متى سفر[٤١] لُقِعَ (أى أصيب بعين) ، وهو القائل :

وفى الظَّعَائِنِ والأَخْداجِ أَمْلَحُ مَن حَلّ العِراقَ وحَلّ الشامَ واليَمَنَا[٤٢]
جنيةٌ من نساء الإنسِ أحْسَنُ مِنْ شَمْسِ النهارِ وبدرِ اللّيلِ لو قُرِنا

□ الحكم بن صخر وامرأتان :

الحكم بن صخر الثقفى قال : خرجت حاجًّا مختفيًا ، فلما كنت ببعْض الطريق ، أتتنى جاريتان من بنى عُقَيْل لم أَرَ أحْسَنَ منهما وجوهًا ، ولا أظرفَ ألسنةً ، ولا أكثر علماً وأدبًا ، فقصّرتُ بهما يومى فكسوتهما ، ثم حججت من قابل ومعى أهلى ، وقد أصابتنى علة فنصل لها خضابى[٤٣]، فلما صرتُ إلى ذلك الموضع فإذا أنا بإحداهما ؛ فدخلت علىّ ، فسألتُ مسألةَ مُنْكِرٍ ، فقلت : فلانة ؟!

قالت : فِدًى لك أبى وأمى ! تعرفنى وأنكرك[٤٤]!!

---

(٣٩) جمعت محاسن بنى خزاعة ، وبنى مرة ، وبنى فزارة ، وطىء .

(٤٠) يلبس على وجهه قناعًا . والمقنع الكندى : شاعر من شعراء الدولة الأموية واسمه محمد بن ظفر بن عمير .

(٤١) سفر : كشف وجهه .

(٤٢) الظعائن : جمع ظعينة – كما سبق – والمراد النساء سواء كن فى هوادج أم لا . وقريب من « الظعائن » بمعنى الهوادج الأحداج : فهى جمع حدج ، وهو يشبه المحَفّة ، وتركبه النساء .

(٤٣) زال عنه لونه . (٤٤) حيث تغير لونه من علة نزلت به !

قلت : أنا الحكم بن صخر ؛ قالت :

إنى رأيتك عامًا أولَ شابًا سُوقَةً[٤٥]، وأراك العام مَلِكًا شيخًا ، وفى دون هذا ينكر المرء صاحبه[٤٦].

قلت : ما فعلت أختك ؟ قالت : تزوجها ابن عمٍّ لها وخرج بها إلى نجد فذلك حيث يقول :

إذا ما قَفَلْنا نحو نَجْدٍ وأهلِه فحسْبى مِنَ الدّنيا قُفُولٌ[٤٧] إلى نجدِ

فقلت : لو أدركتُها لتزوجتُها ؛ فقالت : ما يمنعك من شقيقتها فى حَسَبها ، ونظيرتها فى جمالها ؟- تعنى نفسَها - قلت : يمنعنى من ذلك ما قال كُثَيِّر :

إنّا إذا وَصَلَتْنا حُلّةٌ كى تُزِيلَنا أبَيْنَا وقُلنا : الحاجيــة أوّلُ

فقالت : فكثيّر بينى وبينك ؛ أليس هو القائل :

هل وصلُ عَزّةَ إلا وصْلُ غانيةٍ فى وصل غانية من وصْلِها خلَفُ[٤٨]؟!

فسكت عَيًّا عن جوابها !

□ أسأل الله ألا يعذّب هذا الوجهَ بالنار ! :

قال أبو حازم المدنى[٤٩]: بينا أنا أرمى الجِمار رأيت سافرة من أحسن الناس وجهًا ترمى الجمار ، فقلت :

يا أمةَ الله ، أما تتقين اللهَ ! تَسْفِرين فى هذا الموضع فتفتنين الناس ؟!

قالت : أنا والله يا شيخ من اللواتى قال فيهن الشاعر[٥٠]:

من اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبةً ولكن ليقتُلْن البرىء المُغَفّلا

قلت : فإنى أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار .

---

(٤٥) السوقة : الرعية ، وأوساط الناس ، وتطلق على الواحد وغيره ، فيقال : هو سُوقَة ، وهم سُوقة والجمع : سُوَق .

(٤٦) والأيام تغير الإنسان ، وفى أقل من ذاك الوقت كثيراً ما ينكر المرء صاحبه فلا يكاد يعرفه .

(٤٧) قفول : رجوع وعودة .

(٤٨) أى أن وصلها غير دائم ، وهناك البديل .

(٤٩) أبو حازم المدنى - كما ذكر صاحب الأغانى - هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين ، قد روى عن سهيل بن سعد ، وأبى هريرة ، وروى عنه مالك وابن أبى ذؤيب ونظراؤهما .

(٥٠) الشاعر هو العَرْجى .

□ لولاكِ ... لولاكِ ! :

قال أعرابى :

يا زينَ مَن ولَدت حوّاءُ من ولَدٍ ... لولاكِ لم تحسُنِ الدُّنيا ولم تَطِبِ
أنتِ التى من أراهُ اللهُ صُورَتَها ... نال الخلودَ فلم يهرَم ولَمْ يَشِبِ

□ لماذا يُقْضَى لهن ؟! :

وقال أعرابى :

إذا هُنَّ أبدينَ الخدودَ وحُسِّرَت ... ثُغُورٌ عن الأفواهِ كى تتبسَّمَا
أجاد القُضَاةُ العادلون قضاءهم ... لهُنّ بِلاَ وَهْمٍ وإن كنَّ أظْلَمَا !

□ زعم باطل ! :

وقال عروة بن أُذينة[٥١]:

إن التي زعمت فؤادك مَلَّها ... خُلِقَتْ هواك كما خُلِقْتَ هَوًى لها
فإذا وجدت لها وساوسَ سَلْوةٍ ... شَفَعَ الفُؤادُ إلى الضّمير فسَلَّها[٥٢]
بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها ... بلباقةٍ[٥٣] فأدَقَّها وَأَجَلَّهَا

□ وقال أعرابى يرقّصُ ابنًا له :

ياربِّ ربَّ مالكٍ بارك فيهْ ... بارِكْ لمن يُحِبّه ويُدنيهْ
ذكّرنى لمّا نظرتُ فى فيه ... أجزَعَ نورٍ غرَبَتْ أواخيه[٥٤]
والوجهُ لمَّا أشرقت نواحيه ... دينار عينٍ بيَدٍ تُبريه[٥٥]

□ الحُسْنُ عندهم ! :

● وقال ابن شُبرمة : ما رأيت لباسًا على رجلٍ أزيَنَ من فصاحة ، ولا

---

(٥١) كان شاعراً غزلاً من شعراء أهل المدينة ، وإلى جانب هذا كان فقيهًا مُحَدِّثًا . وهناك من نسب هذا الشعر إلى المجنون ، ولم أعثر عليه فى ديوانه ، ولا فى ترجمته الواردة فى كتاب الأغانى .

(٥٢) فَسَلَّها : فاستَلَّها وانتزعها .

(٥٣) بلباقة : بحذق ومهارة وقوله : دقت : دق خصرها وأنفها وحاجباها ، وجّلت : عظم ساقاها وعضداها وكل ما يحسن كبره فيها . [دولة النساء ٢٧٠] . وهو كقول الشنقرى :

فدقّت وجلّت واسبكرّت وأكملت ... فلو جُنّ إنسان من الحسن جُنّتِ

(٥٤) أجزع نورٍ . هكذا بالأصل ولعلها أجزع نوى . يقال : جزّع النوى : حك بعضه ببعض حتى ابيَضّ الموضع المحكوك منه وترك الباقى على لونه . والأواخى جمع آخية وهى العُرْوة .

(٥٥) الَعَيْن : ما ضرب نقدًا من الدنانير . وتبريه : تنحته وتسويه .

رأيت لباسًا على امرأةٍ أزينَ من شحْمٍ !

● قيل لأعرابى : إنك لحَسَنُ الكِدِنة[٥٦]، فقال : ذلك عُنوان نعمة الله عندى .

● قال الحجاج : لا يَحْسُن نَحْرُ المرأة حتى يعظم ثدياها .

● وقال المرّارُ العدوى :

صَلْتَةُ الخدِّ طويلٌ جيدُهـا ضخمة الثدى ولَمَّا ينكسِرْ[٥٧]

● وقال على بن أبى طالب – كرم الله وجهه –: لا تَحسُنُ المرأةُ حتى تُرْوِىَ الرضيعَ ، وتُدْفِىء الضجيعَ !

□ كنا كفصنين ! :

عن رجل من بنى أسدٍ قال : أضْلَلْتُ إبلاً[٥٨] لى ، فخرجتُ فى طلبهن ، فهبطْتُ واديًا ، وإذا بفتاةٍ أعشَى نورُ وجهِها نورَ بصَرى ؛ فقالت لى : يافتى ، مالى أراك مُدَلَّها[٥٩]؟

فقلت : أضْلَلْتُ إبلاً لى فأنا فى طلبها ؛ قالت : أفأدلك على من هذه عنده ، وإن شاء أعطاكها ؟ قلتُ : نعم ، ولكِ أفضَلُهُنّ ؛ قالت :

الذى أعطاكهن أخذهُنّ وإن شاء ردّهُنّ ، فسَلْه عن طريق اليقين لا من طريق الاختبار ؛ فأعجبنى ما رأيت من جمالها وحسن كلامها .

فقلت : ألك بعل ؟ قالت : قد كان ، ودُعِىَ فأجاب ، فأعيد إلى ما خُلِقَ منه .

قلت : فما قولك فى بعلٍ تُؤْمَنُ بوائقُه[٦٠]، ولا تُذَمُّ خلائقه ؟! فرفعت رأسَها وتنفسَت وقالت :

كُنّا كغُصْنَيْن فى أصْلٍ غذاؤهما مَاءُ الجداوِلِ فى روضاتِ جَنّاتِ
فاجْتَثّ خيرَهما من جَنْبِ صاحبه دهرٌ يكُرّ بتَرْحَاتٍ وفَرْحَاتِ[٦١]

---

(٥٦) الكِدِنة : بكاف مضمومة أو مكسورة : كثرة اللحم والشحم ، ويقال : رجلٌ ذو كُدْنة : سمين غليظ ممتلىء .

(٥٧) صَلْتَةُ الخد : واضحته بارزته فى سعة وبريق .

(٥٨) أضللتها : وجدتها ضالة .

(٥٩) مُدَلّها : ذاهل العقل شارداً ساهمًا .

(٦٠) مأمون الجانب . والبوائق : الشرور .

(٦١) ترحات : جمع ترحة . وهى الأحزان . وبينها وبين فرحات مقابلة .

وكان عاهَدَنى إن خاننى زَمَنٌ ألَّا يُضَاجِعَ أُنثى بعدَ مَثْواتِى[٦٢]
وكنتُ عَاهَدْتُه إن خانه زمَنٌ ألَّا أبوءَ بِبَعْلٍ طولَ مَحْيَاتِى[٦٣]
فلم نَزَلْ هكذا والوصْلُ شيمتُنا حتى تُوُفِّى قريباً مُذْ سُنَيَّاتِ
فاقبض عِنانك عَمّن ليسَ يردَعُه عن الوفاء خلافٌ بالتحياتِ[٦٤]

□ ما أرى فى أصحابك مثلك ! :

قال أبو اليقظان : دخل مُتَمِّم بن نُوَيرة على عمرَ بن الخطاب – رضى الله عنه – فقال له عمر :

ما أرى فى أصحابك مثلك ! قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أما والله إنى مع ذلك لأركب الجملَ الثَّفال[٦٥]، وأعتقل الرمح الشطون[٦٦]، وألبسُ الشملة الفَلُوت[٦٧]، ولقد أسرنى بنو تغلِب فى الجاهليّة ، فبلغ ذلك مالكاً فجاء ليَفْتَدِيَنى ، فلما رآه القوم أعجبهم جمالُه ، وحدّثهم فأعجبهم حديثُه ، فأطلقونى له بغير فداء !

□ كان يقال :

- المنظر محتاج إلى القبول .
- والسرور محتاج إلى الأمن .
- والقرابة محتاجة إلى المودة .
- والمعرفة محتاجة إلى التجارب .
- والشرف محتاج إلى التواضع .
- والنجدة محتاجة إلى الجدّ .

□ نحن ومن تمت محاسنه ! :

قال الحسن بن وَهب :

ما لِمَن تمت محاسنُه أن يُعادَى طرفَ من نظَرا

(٦٢) مثواتى : موتى ودفنى .
(٦٣) أبوء ببعل : أرجع بزوج بعده .
(٦٤) فاقبض عنانك : امتنِعْ عن الاسترسال ، وتوقف عن السؤال .
(٦٥) الثَّفال : البطىء الثقيل الذى لا ينبعث إلا كرْهاً .
(٦٦) الرمح الشطون : الطويل الأعوج .
(٦٧) الصغيرة التى سرعان ما تفلت لأنها صغيرة لا يتحكم طرفاها .

لك أن تُبدى لنا حَسَنًا ولنا أن نُغمِل البصرا[٦٨]

بَابُ القُبْح والذَمَامة

□ زوجان يختصمان إلى أمير من أمراء العراق :

أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلاً وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق ، وكانت المرأة حسنةَ المُنتَقَب قبيحة المسْفِر[١]، وكان لها لسانٌ[٢]، فكأن العاملَ مالَ[٣] معها ، فقال :

يَعْمِدُ أحدكم إلى المرأةِ الكريمة فيتزوجها ، ثم يسيء إليها ، فأهوى الزوجُ فألقى النقابَ عن وجهها : فقال العامل : عليكِ اللعنة ؛ كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ .

□ شَهْرٌ كله محاق[٤] :

أبو زيد الكِلابى : قَدم رجلٌ منا البصرة فتزوج امرأةً ، فلما دخل بها ، وأُرْخِيَتِ السُّتورُ ، وأُغْلِقَتِ الأبوابُ عليه ضَجِرَ الأعرابى وطالت ليلتُه ، حتى إذا أصبحَ وأراد الخروجَ مُنِعَ من ذلك وقيل له : لا ينبغى أن تخرج إلا بعد سبعة أيام ؛ فقال :

أقول وقد شَدُّوا عليها حجابَها ألا حَبّذا الأرواحُ[٥] والبلدُ القَفْرُ
ألا حبّذا سَيْفِي ورَحْلى ونُمْرُق ولا حَبّذا منها الوشاحَان والشَّذْرُ[٦]

---

(٦٨) ولكن علينا جميعاً أن نمتثل لقول الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾ [النور : ٣٠] .

(١) يقال : تنقبت المرأة : وضعت النقاب على وجهها وأسفرت : كشفت وجهها . وكانت تبدو جميلة من وراء النقاب .

(٢) قادرة على التعبير والإقناع متحدثة تجيد الحديث .

(٣) العامل : الوالى الذى استعمله الخليفة وولاه الحكم والقضاء بين رعيته .

(٤) المحاق (بميم مفتوحة) ما يُرى فى القمر من نقص فى جِرْمِهِ وضوئه بعد انتهاء ليالى اكتماله . وليالى المحاق : ليالى مرور القمر فى مرحلة المحاق .

(٥) الأرواح : الرياح جمع روح .

(٦) نمرق : وسادتى التى أتكىء عليها ، والرحل : ما يوضع على ظهر البعير للركوب ، وكل شىء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره ، ومسكن الإنسان ، وما يستصحبه من الأثاث . والوشاحان : =